

المجزوءة الثالثة: أشكال نثرية حديثة

النصوص: المسرحية

نموذج مسرحي: رابعة وربيع والرحلة المشؤومة عبد الكريم برشيد

إعداد: ذ. عبد الغني لخويت

تطور النثر العربي منذ أواخر القرن التاسع عشر في سياق التحولات الاجتماعية والسياسية والثقافية التي حدثت في تلك المرحلة؛ فظهرت أشكال نثرية حديثة منها المسرحية. والمسرحية – باعتبارها نصا – فن ينتمي إلى الخطاب السردي لأنه يشتمل على عناصر هذا الخطاب كالحديث والشخصية والزمان والمكان... لكن المسرحية تتميز بعناصر جوهرية هي الحوار المسرحي والصراع الدرامي والحركة. وقد ظهر الفن المسرحي في العالم العربي حوالي منتصف القرن التاسع عشر نتيجة التأثير المسرح الغربي وظهور الصحافة والطباعة والترجمة وغيرها من التحولات الاجتماعية والثقافية والسياسية. ومن رواد المسرح العربي مارون النقاش وأحمد أبو خليل القباني ويعقوب صنوع ومحمد عثمان جلال، ثم جاء بعدهم كتاب رسخوا هذا الفن في الثقافة العربية منهم توفيق الحكيم ونعمان عاشور ويوسف إدريس. ومن أبرز كتاب المسرحية في المغرب عبد الكريم برشيد، وهو من مواليد بركان سنة 1943. وهويهتم بالمسرح إبداعا وإخراجا وبحثا وتنظيرا. وقد عُرف بالمسرح الاحتفالي باعتباره مشروعا لتأصيل المسرح المغربي والعربي وربطه بهويته الحضارية. وكتب عبد الكريم برشيد مسرحيات كثيرة منها مسرحية (عُطيل والخيل والبارود). ومنها اخذ هذا النص. فما أحداثه وخصائصه الفنية؟ وإلى أي حد يمثل فن المسرحية؟

وقبل الدخول إلى عوالم النص نلاحظ مؤشرات منه تشكل مدخلا لقراءته، وأولها شكله الطباعي الذي يتبين منه أن النص نص مسرحي لوجود اسمي شخصيتين متحاورتين من بداية النص إلى آخره. أما عنوان النص فيتضمن اسمي شخصيتين هما "رابعة" و"ربيع". ويدل تجانسهما الصوتي على اشتراكهما في أمور منها "الرحلة المشؤومة" الواردة في العنوان. والحوار الذي يبتدئ بقول ربيع: "إنّ شاعر وكاتب وممثل" وينتهي بقول رابعة: "رفيقة في الفقر والشؤم والبطالة، يدل على ما يميز هذه الرحلة وهو التمثيل والفقر والشؤم. ومن ذلك نفترض أن النص حوار مسرحي بين ممثلين مسرحيين يكشف تفاصيل رحلتها في عالم التمثيل المسرحي وما يعيشانه من معاناة.

وبعد قراءة النص وتفحص مضامينه نجد أن الحديث المسرحي يبدأ بتدريب مسرحي تشارك فيه رابعة وربيع ثم يوقفه ربيع ليغير موضوع الحوار إلى الحديث عن معاناتهما في رحلة التمثيل من الفقر والبطالة؛ فيتذكرا تفاصيل هذه الرحلة. وترى رابعة أن سبب ذلك كله هو الشؤم الذي يلزم ربيعا، وأن ما حدث في مسرحياته من مصائب دليل على ذلك؛ ففي المسرحية الأولى غضب الجمهور وشنق المدير. وفي المسرحية الثانية سقط ممثل

كان يمشي على أرجل من خشب فتكسرت ساقه. وفي المسرحية الثالثة غضب الجمهور وضرب المدير الذي شارك في التمثيل. ويرى ربيع أنه ليس المسؤول عن هذه المصائب. ويعد رابعة برفع الشؤم عن حياتهما، لكن رابعة تشعر بأن ذلك لن يتحقق.

ويدور الحوار بين شخصيتين هما ربيع ورابعة. ولكل شخصية سمات ومواقف؛ فربيع شاعر وكاتب وممثل وهو زوج رابعة ويعيش وضعا اجتماعيا صعبا يتمثل في الفقر والبطالة، ويشكو تحكم مدير المسرح ويعتبر ذلك من أسباب تردي أوضاع الفنانين المسرحيين، وويرد اتهامات زوجته له بأنه رمز الشؤم، ويعدها برفع هذا الشؤم. أما رابعة فهي ممثلة وزوجة ربيع ورفيقتة في الفقر والشؤم والبطالة، وتتهمه بأنه رمز الشؤم، وهي متشائمة من المستقبل.

وتربط بينين هاتين الشخصيتين علاقة زواج، وعلاقة عمل مشترك في التمثيل، وعلاقة خلاف تتجلى في تناقض موقفيهما من حصيلة رحلتهما المسرحية ومستقبلها.

وعلى مستوى الزمان في هذا النص المسرحي نجد زمان الشخصيتين رابعة وربيع، وينطلق من زمن التدريب المسرحي، ويمتد إلى الزمان الذي استغرقتة رحلتهما المسرحية ولازمته المعاناة. وتدل عليه مؤشرات مثل (نرحل دوما- الأيام السوداء- نفس الماضي سنحياه...). وتحدث الشخصيتان عن زمن المستقبل، فترى رابعة أن المعاناة ستستمر (نفس الماضي سنحياه من جديد) أما ربيع فيعدها بالأفضل.

ونجد في النص أيضا الزمان الذي تجري فيه المسرحية الثالثة وهو زمان هارون الرشيد، ويدل على التسلط والتحكم في مصائر الأتباع.

أما المكان في النص فهو متعدد؛ وينطلق من مكان التدريب الذي يقوم به ربيع ورابعة، ويمتد إلى أمكنة أخرى منها المسارح التي رحلت عبرها هاتان الشخصيتان، وقدمتا مسرحياتهما فيها، ويدل ذلك على ارتباطهما بالمسرح وطول رحلتهما المسرحية ومعاناتهما (لقد مللت الرحيل عبر المسارح). ومن الأمكنة أيضا أمكنة المسرحية الثالثة مثل قصر هارون الرشيد ومملكته (وما في الأرض غير مملكتي)، والسراديب المظلمة التي يسجن فيها المعارضون. وكل ذلك يدل على التسلط والتحكم. فتسلط مدير المسرح من أسباب معاناة رابعة وربيع.

ومن مقومات النص المسرحي الحوار. ويتجلى هنا في الكلام المتبادل بين ربيع ورابعة في ثلاث وضعيات حوارية. فالوضعية الأولى هي حوار حول تدريب مسرحي. والوضعية الثانية حوار حول تفاصيل الرحلة المشؤومة. أما الوضعية الثالثة فتأتي ضمن الوضعية الثانية، وتتمثل في حكاية هارون الرشيد. ويؤدي الحوار وظائف منها تطوير الحدث، وكشف سمات الشخصيات ومواقفها. ويتميز بالإيجاز والقصر والترابط بين أجزائه بوسائل منها نقط الحذف في آخر الكلام والجمل الاستجوابية أي سؤال/ جواب مثل:

ربيع: ...لسوء حظي. وأنت؟

رابعة: رقيقة في الفقر والشؤم والبطالة.

وتتخلل الحوار إرشادات مسرحية وهي الألفاظ والعبارات الموضوعية بين قوسين مثل :

(بتعجب) - (يضحك) ... وتقدم هذه الإرشادات للمتلقي معلومات عن حالة الشخصية وسلوكها أثناء الحوار .

ومن خصائص النص المسرحي الصراع الدرامي. وهو الذي يؤدي إلى الحركة وتطور الحدث؛ ففي هذا النص نجد اختلافا وتناقضا بين موقف رابعة وربيع من حصيلة رحلتها المسرحية ومستقبلها. ويستدعي ذلك الحجاج؛ ف رابعة تعتبر ربيعا رمز الشؤم وتستدل على ذلك بالمصائب التي حدثت في مسرحياته السابقة. وهي متشائمة من المستقبل. أما ربيع فينفي مسؤوليته عن ذلك بقوله: " وهل يسقط إلا الذين يصعدون؟ من يمشي كما أمشي يا رابعة أبدا لا يسقط...". ثم إن ربيعا متفائل عكس رابعة.

ووظف الكاتب لغة واضحة مفهومة تتخللها بعض الصور الفنية مثل " نرحل دوما وفي القلب أمان بكر. نرحل وفي العين أزهر شوق أخضر". ووظف الكاتب أيضا بعض الرموز والتعبيرات الثقافية مثل: هارون الرشيد (رمز التحكم) و الخوارج والشيعية والبرامكة (رموز للمعارضين الذين يحاربون ويعتقلون).

وفي الختام نستخلص أن النص يمثل فن المسرحية لأنه يشتمل على عناصر هذا الفن وخصائصه كالحدث والشخصيات والزمان والمكان والفكرة والحوار والصراع والحركة؛ فالنص حوار حول موضوع هو رحلة ربيع ورابعة في مجال التمثيل المسرحي ومعاناتهما من الفقر والبطالة. وتشارك في الحوار شخصيتان هما رابعة وربيع. ويجري الحدث في مكان التدريب المسرحي وفي المسارح التي عرضت فيها هاتان الشخصيتان مسرحياتهما. وتتخلل الحوار إرشادات مسرحية. وهو يقوم على الصراع الدرامي المتمثل في تناقض موقف رابعة وربيع من حصيلة الرحلة المسرحية ومستقبلها. و يتضمن النص رموزا وتعبيرات ثقافية مغربية وعربية مستمدة من التراث. وهذه العودة إلى التراث من خصائص المسرح الاحتفالي الذي يعتبر عبد الكريم برشيد من رموزه إبداعا وتنظير؛ إذ يعتبر المسرح الاحتفالي مشروعا لتأصيل المسرح المغربي والعربي ، وربطه بهويته الحضارية.